"فلسفة السينما".. كتاب من ترجمة د.باسم الزعبي يعيد قراءة نظريات الفن السابع



نخيل نيوز/خاص

يستكشف كتاب "فلسفة السينما" العلاقة المعقّدة بين الصورة السينمائية والفكر الفلسفي، فاتحاً نافذة على الأسئلة الجمالية والمعرفية والاجتماعية التي رافقت تطور الفن السابع، وكيف تجاوزت السينما حدود الترفيه لتصبح وسيلة للتأمل في الواقع والإنسان والمجتمع، ومجالاً تتقاطع فيه الرؤى الفنية مع التصورات الفلسفية.

يقدم الكتاب الصادر عن "الآن ناشرون وموزعون»، من تأليف الفيلسوف والباحث السينمائي السوفييتي يفغيني ميخائيلوفيتش ويتسمان، وترجمة د.باسم إبراهيم الزعبي، قراءة نظرية في عدد من أبرز اتجاهات الفكر السينمائي، مستنداً إلى أعمال منظّرين ومخرجين أسهموا في تشكيل فهمنا للصورة وحضورها في الحياة الإنسانية.

يطرح العمل أسئلة تتصل بطبيعة الواقع الذي تنقله الكاميرا، وعلاقة الصورة بالفكر، وقدرة السينما على التعبير عن التجربة الإنسانية وتحويلها إلى خطاب فني واجتماعي.

ويبدأ الكتاب بمناقشة بعض النظريات السينمائية، متناولاً السريالية والطلائعيين، ثم ينتقل إلى بحث الواقعية الشمولية في فلسفة السينما عند أندريه بازين، ضمن مقاربة تربط تطور الفن السينمائي بالتحولات الفكرية والجمالية التي شهدها القرن العشرون. ويحلل المؤلف تصورات عدد من المنظّرين، من بينهم سيرغي آيزنشتاين وفلاديمير بودوفكين وأندريه بازين وزيغفريد كراكاور، مستكشفاً اختلاف منطلقاتهم في فهم السينما ووظيفتها وعلاقتها بالواقع.

وفي تناوله للسريالية، يتوقف الكتاب عند محاولات الطلائعيين الفرنسيين في عشرينيات القرن العشرين وبداية الثلاثينيات، لإيجاد أسس فلسفية للفن السينمائي، متأثرين بالدادائية والسريالية والتحليل النفسي. ويستعرض نماذج سينمائية تجريبية سعت إلى التعبير عن الأحلام واللاوعي، من بينها أفلام جان كوكتو ولويس بونويل، موضحاً كيف تحولت الصورة السينمائية إلى مساحة تتداخل فيها الوقائع مع الخيال، وتتجاوز فيها الدلالات حدود الحكاية المباشرة.

وفي سياق حديثه عن أندريه بازين، يناقش ويتسمان مفهوم "الواقعية الشمولية"، وعلاقة التصوير الفوتوغرافي بإدراك العالم، وكيف أتاحت الكاميرا للفن أن يعيد تقديم الأشياء بعيداً عن قوالب التلقي المألوفة. ويشير الكتاب إلى أن الواقعية السينمائية لا تتوقف عند محاكاة المظهر الخارجي للأشياء، بل تتصل أيضاً بالمضمون الروحي وبقدرة الصورة على كشف أبعاد جديدة من التجربة الإنسانية. وفي هذا السياق، يستشهد المؤلف بقول بازين: "إن جِلْد التاريخ يتقشّر، ويتحول إلى شريط سينمائي"، في إشارة إلى حضور الكاميرا في توثيق التحولات التاريخية وجعلها جزءاً من الوعي المعاصر.

ويُعد الكتاب مرجعاً للمهتمين بالدراسات السينمائية والفلسفة وعلم الجمال، كما يتيح للقارئ العام الاقتراب من الأسئلة النظرية التي أسهمت في تشكيل لغة السينما، وفهم الصلات بين تطور تقنياتها وتحولاتها الفكرية والاجتماعية.

يذكر أن يفغيني ميخائيلوفيتش ويتسمان (1918-1977) باحث سينمائي وفيلسوف سوفييتي متخصص في فلسفة السينما. حصل على الدكتوراة في الفلسفة عام 1949، وعمل باحثاً في معهد الفلسفة التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي، كما درّس الفلسفة في معهد غيراسيموف للسينما. وترك مؤلفات تناولت العلاقة بين السينما والفلسفة ونظريات الفن السينمائي.

أما د.باسم إبراهيم الزعبي فكاتب ومترجم أردني، وُلد عام 1957، حصل على الماجستير في الأدب (تخصص الصحافة) من جامعة روستوف الحكومية عام 1982، والدكتوراة في الفلسفة من معهد الفلسفة التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية عام 1990، والماجستير في الإدارة والدراسات الاستراتيجية عام 2010. عمل في وزارة الثقافة الأردنية وتولى مناصب عدة، ويعمل مديراً عاماً لـ"الآن ناشرون موزعون"، وله مؤلفات قصصية وأعمال مترجمة عن الروسية، ونال جائزة مجمع اللغة العربية الأردني لأفضل كتاب مترجم عام 2021، وجائزة جامعة فيلادلفيا لأحسن كتاب مترجم عام 2025.